البردي

البردي واسمه العلمي سيبرس بابيرس (Cyprus Papyrus, Linn.) نبات يتبع الفصيلة السعدية (Chperaceae) وموطنه جزيرة صقليه وسوريا وأفريقيا الاستوائيه وكان يزرع قديما في دال (دلتا) النيل وهو ينبت فى الاماكن التى تكثر فيها المياه له ساق أملس مثلث الشكل يبلغ طوله من ٤ — ٨ أقدام ، يعلوا هذا الساق هداب من الاوراق والازهار على شكل شمسية

لهذا النبات شهرة عظيمة طبقت الارضين لماله من الاهمية في تاريخ مصر القديمة حيث كان يصنع منه قراطيس للكتابة وقد وصفه كثير من المؤرخين القدماء منهم والحديث فقد وصفه المؤرخ اليوناني ثيوفراستس (Theophrastus) انه ينبت في المياه على عمق ثلاثة أقدام أو أقل والنبات ذي ثخانة رسغ الرجل وذكر ان الهداب الذي يعلو الساق كان مستعملا في صنع الاكاليل الزهرية التي توضع على مزار الآلهة اما الساق فتصنع منه القوارب والحصر والملابس والاحبال وقراطيس الكتابة أو يستعمل في الوقود أو يؤكل اما مطبوخا أو نيئاً وذكر هيرودوت (Herodotus) انه كان يصنع منه أحذية (خف) للكهنة والزوارق الخفيفة

واذا صح ان لفظة جومر العبرية تفسر بنبات البردي لامكن القول ان مهد سيدنا موسي عليه السلام صنع من هذا النبات

ومن الصعب القول ان جميع ماذكر صنع من نبات البردي هذا بل لابد ان أغلب المؤرخين ذكروا أنواعاً اخري من السيبرس (Cyprus) على انها من البردي يؤيد ذلك ماذكره سترابو (Strabo) من وجود أصناف رديئة وأصناف جيدة من البردي

ولقد رسمت قراطيس البردي على جدران المعابد واليها كل المصرية خلاف ماعثر عليه من هذه القراطيس في المدافن والاطلال وأقدم قرطاس من البردي هو المنسوب للملك (اسا) سنة ٣٥٨٠ — ٣٥٣٦ قبل الميلاد

وكانت هذه القراطيس مستعملة لمقاصد شتي اما دينية أو أدبية واما وثائق للبيع والشراء واستمرت زراعة البردي في مصر مدة حكم العرب حتي القرن التاسع الميلادي حيث استعمل الورق

وقد وصفه ابن البيطار النباتي والعشاب الطائر الصيت بأن أهل مصر تعرفه باسم الغافر وهو نبات ينبت فى الماء وله ورق كخوص النخل وله ساق طويلة خضراء مائلة الي البياض عليه قيقلة كثيرة ويتخذ من هذا النبات كاغد (ورق) أبيض بمصر يقال له القرطاس فمتى قيل فى الطب قرطاس محرق فانما يراد به القرطاس الذي يكون من البردي

وقال أبو العباس النباتي : البردي معروف في كل البلاد ومنه النوع المسمي بالغافر ذكره ديسقوريدس وهذا بصقليه موجود بها وأهل البلاد يسمونه ببير بياء بين معجمتين فى النطق بنقطة واحدة من أسفلها بعدها ياء باثنتين من أسفل ثم راء ومن هذا النوع من البردى كانت تتخذ القراطيس والمستعملة في الطب بالديار المصرية وقد جهلت الآن وهو عندهم في أماكن بصقليه في بركة امام قصر السلطان

جاء فى كتاب الحضارة القديمة للاثري الشهير أحمد بك كمال الامين الشرفي لدار الآثار المصرية (اما البردى فكان ينبت فى مياه الوجه البحرى الراكدة أو ضعيفة الجريان ومن ثم كان عاما على تلك الجهة وكانوا يجنونه سنويا بعد خلعه من الاباطح فيقطعون رأسه ويلقونه ثم يستبقون من سوقه جزء أطوله نحو ذراع فيقتاتون منه ويبيعونه للعامة لكن أهل الرفاهية لا يأكلونه الا مشويا فى التنور وكانوا يصنعون منه خبزا جيدا لذيذ الطعم كان مرغوبا عندهم ولذلك رسموه على موائد الملوك)

وجاء فى كتاب الاثر الجليل للعلامة المرحوم أحمد بك نجيب (ومن أنفع ما وصل الينا من مصنوعات القدماء ومداخرهم ورق البردى لما اشتمل عليه من العلوم والاعتقادات والصنائع والغزوات وكانوا يصنعونه من النبات المعروف بهذا الاسم ويرسلونه الي الآفاق ضمن تجارتهم الواسعة لشدة الاحتياج اليه فى الممالك القديمة المتمدينة وكان يشتغل بعمله فريق عظيم من الامة ولهم المعامل والورش الكثيرة بمدينة طيبة ومنفيس وغيرهما من المدن فكان هذا الصنف من أهم صنائعهم وكان طول النبات يبلغ احيانا عشرة أقدام يعلوه هداب كالشعر لافائدة فيه وسمكه من أسفله نحو بوصتين فأكثر وكيفية عمل القرطاس منه هو انهم كانوا يقطعون طرفى الساق لعدم صلاحيتهما ويشقونه نصفين طولا وهو مركب من قشر يغلف بعضه فيفصلونه بنحو منخس وكلما كان الغلاف أقرب الي المركز كلما اشتد بياضه وحسن ورقه ثم يجففونه فى الشمس بنشره عودا عودا ثم يعطنونه ويدقونه ويجففونه ثانيا ثم يفرشونه بجوار بعضه كالحصر ويدهنونه بالغراء القوي ويضعون فوقه طبقة ثانية منه بحيث تكون

متعاكسة أي متصالبة مع الاولي ويدقونها بلطف فتتفرطح الاعواد وتملأ الاخلية والفراغ الذي بينها ثم تكبس وتجفف جيداً وتدهن بزيت ليكتسب اللدونة والملودة ثم يصقلونه فيصير ناعم الملمس حسن المنظر ويكون به صلابة كافية فيصنعون منه الصناديق والعلب والسلات والاحذية بدل الجلد وغير ذلك أو يدخرونه للكتابة أو للتجارة

وفى دائرة المعارف النمساوية ان البردى نبات كان ينبت فى الترع والمستنقعات بمصر وبلاد أفريقيا وفلسطين وجزيرة صقليه وكان قدماء المصريين يزرعونه ويأكلون جذوره وقلب سيقانه أو يدخلونها فى مصنوعاتهم فيضفرون منها أحذية (مداسات) أو يفتلونها حبالا أو يصنعونها ورقا وغير ذلك وقد انعدم هذا النبات الآن من مصر

ويوجد الآن فى اطلال المدن القديمة ادراج وملفات ربما بلغ طول الدرج الواحد منها ثلاثين قدماً فأكثر مكتوبا بالقلم العامي أو البربائي ومن الاسف انه بتوالي الازمان عليه ضاعت مرونته وتصلب بحيث ان أدني ملامسة تتلفه فينكسر وطالما أتلفت يد الجهلة أوراقا منه كانت سجلا للمعارف من ذلك ورقة (تورينو) التي أضرمت فى قلب علماء الآثار نار الحسرة لانها كانت تتضمن ترتيب جميع ملوك مصر للعائلة الثامنة عشر وما وصلت الى العلماء حتي صارت جذاذا وافلاذا

أقول وطالما وجدت أوراق من هذا النوع وباعها الجاهل ببعض دريهمات فرح بها ثم صارت تعلو قيمتها فى يد كل بائع من الافرنج حتي وصلت الى حد لايتصور، وقد استعمل الناس الآن لفتح هذا الورق طريقة مناسبة بدون أن يحصل له أدني تلف وهو ان يأتي بالدرج منه ويعرض

الي بخار الماء الساخن فيتمدي وتلين صلابته فيفتح شيئاً فشيئاً مع الراحة الي أن يتم فتحه ويلصق على قماش أو ورق قوى فلا يصيبه بعد ذلك شيء

وكانت هذه القراطيس متداولة فى كثير من الممالك الاجنبية فقد وجدمنها كتب وأسفار مكتوبة باليونانية والرومانية وأوراق عليها معاهدات وامتيازات محررة من بعض ملوك فرنسا والبابوات بايطاليا وجميع ماوجد منها بتلك الديار لا يضاهى مايوجد الآن ببلادمصر المحفوظ في الخوابي والجرار بقبور الموتي مسدود عليها بالاحكام مشتملة على الاشغال الادارية والعلمية والدينية وضروب مختلفة من المواضيع منها مايشتمل على مايسمى بكتاب الاموات أو قوائم مساحة الاراضي أو جوابات أو مراسلات أو ملفات للدعاوى والخصومات التي أقيمت امام محاكمهم أو حجج العقار وكل مايكون مستنداً لاحد المتعاقدين من الاتفاقات المدنية

ومن زار المتحف المصري أو باقى المتاحف باوروبا وجد بها أروقة برمتها مشحونة بهذه الرقاع المتفاوتة في الطول والعرض محفوظة فى دواليب من الزجاج وفى الواح منه معلقة على الجدار وعليها من الرسم والنقش والاشكال بالالوان والبهجة والنضارة ما يبهر العقل ويحير الفكر وكلها أخذت من اطلال الديار المصرية

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصرما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

ولقد اتجهت الانظار قبيل الحرب العالمية الي زراعته ثانيا بالبلاد المصرية وكان لسمو الخديو السابق ضلع عظيم في هذه المسألة وقد استقدم الي مصر بعض الانجليز موفدين من احدي شركات صنع الورق وجربت

زراعته في مساحة صغيرة بجوار المنتزه بالاسكندريه ودلت التجارب ان المحصول وفير ونوع الورق جيد ، وكان المنتظر استئجار ما يربو على العشرة آلاف فدان بجهات أدفينا بمديرية البحيره لهذا الغرض لولا ان قامت الحرب فطوى هذا المشروع كما طوى امثاله وعسي أن يقوم بعض أغنيائنا الغيورين فيأخذون على عاتقهم اتمام هذا المشروع المفيد وماذلك عليهم عزيز ؟

ابراهيم عثمان